استحضار واستشعار



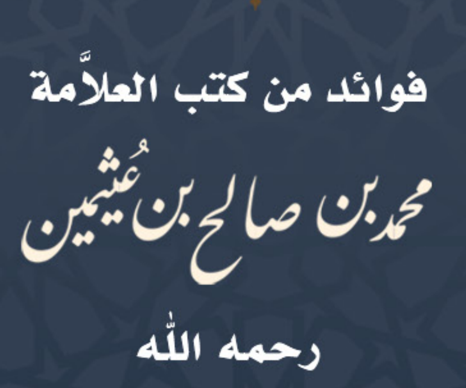
في العبادات والعادات



جمع وترتيب

مساعد بن عبد الله السلمان

فوائد من كتب العلاَّمة



رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم



تصميم وتنسيق الكتب
المملكة العربية السعودية -الرياض
mohlafi@gmail.com
@moha_lafi
0558880554
انقر على العنوان للتواصل

استحضار واستشعار



في العبادات والعادات

من كتب العلامة

محمد بن صالح بن عُثيمين

رحمه الله

جمع وترتيب

مساعد بن عبد الله السلمان

الطبعة الأولى، غرة ربيع الآخر ١٤٤٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة: قال العلاَّمة ابن عثيمين رحمه الله: أوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائمًا على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنيّة كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً! [(١)]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧١.

فائدة: قال بعض أهل العلم: (عبادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات).

عبادات أهل الغفلة عادات مثاله: من يقوم ويتوضأ ويصلي ويذهب على العادة. وعادات أهل اليقظة عبادات مثاله: من يأكل امتثالاً لأمر الله، يريد إبقاء نفسه، ويريد التكفف عن الناس، فيكون ذلك عبادة. ورجل آخر لبس ثوبًا جديداً يريد أن يترفّع بثيابه، فهذا لا يؤجر، وآخر لبِسَ ثوبًا جديداً يريد أن يعرف الناس قدر نعمة الله عليه وأنه غني، فهذا يؤجر. ورجل آخر لبس يوم الجمعة أحسن ثيابه لأنه يوم جمعة، والثاني لبس أحسن ثيابه تأسيًا بالنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهو عبادة.[1]

(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٩.

فائدة: الموفق حقيقة من يستطيع أن يجعل أوقاته وحركاته وسكناته جميعها عبادة، فإن أكل نوى بذلك التنعم بكرم الله وبفضل الله، والله تعالى يحب من عبده إذا أنعم عليه نعمة أن يرى أثر نعمته عليه، فينوي بأكله وطعامه وشرابه التقوى على طاعة الله، فصار ذلك عبادة، وينوي بذلك القيام بواجب نفسه، لأن الإنسان يجب عليه أن يراعي نفسه، حتى إنه إذا جاع وخاف الموت وجب عليه أن يأكل وجوبًا، فإن قال: لا يجب، وأنا صابر على الموت، قلنا: بل يجب أن تأكل لتؤدي النفس حقها، فصار أكلك الآن عبادة وكذا اللباس؛ فإنك تلبس الثوب تستر عورتك ولتتنعم به

بالوقاية من البرد أو الحر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝٨١﴾ [النحل: ٨١] إلى آخره. **المهم**: والله إنه تفوت علينا أشياء كثيرة، تضيع علينا، وكله بسبب الغفلة عن النية، وإلا فلو استحضرنا النية لكانت كل حركاتنا وسكناتنا عبادة نثاب عليها.[١]



(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٤٤١.

فائدة:

تعلم العلم الشرعي فرض كفاية، ومن أراد أن يقوم بعبادة من العبادات كان تعلم أحكامها فرض عين، وبناء على هذا نقول: كل طلبة العلم في كل مكان قائمون بفرض كفاية، ولهذا يحسن بهم أن يستحضروا هذا الأمر، وأننا في مجالسنا هذه نقوم بفرض كفاية نثاب عليه ثواب الفرض، وقد قال الله تعالى: «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»، وهذه مسألة يغفل عنها كثير من الطلبة، لا في المجالس الذكر والعلم ولا في المجالس الأخرى مجالس المراجعة، تجد الإنسان يراجع الكتاب لكنه لا يستحضر أنه الآن قائم بفرض كفاية، وهذا يفوت خيراً

كثيراً، ولهذا نسأل الله أن يعيننا على تذكر هذا المعنى حتى نكسب خيراً بما نقرأه أو نراجعه.[1]



(١) انظر تفسير سورة يسن ص ٢٤.

فائدة: إذا نويت بطلبك للعلم امتثال أمر الله، صارت كل حركة تتحركها في هذا المجال عبادة، إن راجعت الدرس فعبادة، وإن حفظت فعبادة، وإن مشيت فعبادة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة». وهذه مسألة تغيب عنا كثيراً: كثيراً ما نراجع الكتب لتحقيق مسألة ما، ولكن يغيب عنا أننا الآن في عبادة نرجو بها ثواب الله؛ لكن إذا استحضر طالب العلم أنه يمتثل أمر الله سبحانه وتعالى بطلب العلم، صار طلبه للعلم عبادة.[1]

(١) انظر تفسير سورة غافر ص ١٠.

فائدة: أُذكّر نفسي وإيّاكم بمسألة مهمة وهي: كلنا يتوضّأ إذا أراد الصلاة، لكن أكثر الأحيان يريد الإنسان أن يقوم بشرط العبادة فقط، وهذا لا بأس، ويحصل به المقصود، لكنْ هناك شيء أعلى وأتمّ: **أولاً:** إذا أردت أن تتوضأ استشعر أنك ممتثل لأمر الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ٦﴾ [المائدة: ٦] حتى يتحقق لك معنى العبادة. **ثانيًا:** إذا توضأت استشعر أنك متبع رسول الله ﷺ، فإنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» حينئذٍ يكون الإخلاص والمتابعة. **ثالثًا:** احتسب

الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الوضوء، لأن هذا الوضوء يكفّر الخطايا، فتخرج خطايا اليد مع آخر قطرة من قطرات الماء بعد غسل اليد، وهكذا البقية. هذه المعاني الثلاثة العظيمة الجليلة أكثر الأحيان نغفل عنها، كذلك إذا أردت أن تصلّي وقمت للصلاة استشعر أمر الله بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣] ثم استشعر أنك تابع لرسول الله ﷺ حيث قال: «صَلوا كَمَا رَأَيتُموني أُصَلي» ثم احتسب الأجر، لأن هذه الصلاة كفارة لما بينها وبين الصلاة الأخرى، وهلمّ جراً.

يفوتنا هذا كثيراً ولذلك تجدنا - نسأل الله أن يعاملنا بعفوه - لا نصطبغ بآثار العبادة كما ينبغي وإلا فنحن نشهد بالله أن الصلاة تنهى

عـن الفحشـاء والمنكـر، ولكـن مَـنْ مِـنَ النـاس إذا صلّى تغير فكـره ونهتـه صلاتـه عـن الفحشـاء والمنكـر؟! اللهـم إلا قليـل، لأن المعـاني المقصـودة مفقـودة.[1]



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٢٢٩.

فائدة: الموظف يؤدي وظيفته أحيانا من أجل الراتب. وأحيانًا يؤديها من أجل القيام بالعمل الذي به صلاح الناس، فعلى الأول يكون عادة لا عبادة، لكن على الثاني يكون عبادة ولا يفوته الراتب. انظر كيف أن النية تجعل العادة عبادة، وربما يحوّل الإنسان عبادته إلى عادة مع الغفلة كما لو كان يذهب يصلّي لأنه اعتاد أن يتوضأ ويذهب ويصلّي لكن ما يشعر حينئذ أنه يذهب امتثالاً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ وإتباعاّ لرسوله ﷺ وحينئذ يفوته خير كثير ولهذا قيل: (أهل اليقظة عاداتهم عبادات، وأهل الغفلة عباداتهم عادات) كل ذلك من أجل النية.[1]

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣.

فائدة: النَّيـةُ شَـرْط في صِحَّـة جميـع العبـادات لقولـه ﷺ: «إنَّمـا الأعمـال بالنِّيَّـات، وإِنَّمـا لـكلِّ امـرِئٍ مـا نـوى»، والنِّيَّـة نيَّتـان: الأولـى: نِيَّـة العمـل، ويتكلَّـم عليهـا الفقهـاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أنهـا هي المصحِّحـة للعمـل. والثانيـة: نِيَّـة المعمـول لـه، وهـذه يتكلَّـم عليهـا أهـل التَّوحيـد، وأربـاب السُّـلوك لأنهـا تتعلَّـق بالإخـلاص. مثالـه: عنـد إرادة الإِنسـان الغسـل ينـوي الغُسْـل، فهـذه نيَّـة العمل...

لكـن إِذا نَوى الغُسْـل تقرُّبـًا إلـى الله تعالى، وطاعة لـه، فهـذه نيَّـة المعمـول لـه، أي: قصَـد وجهـه سـبحانه وتعالـى، وهـذه الأخيـرة هـي التـي نغفـل عنهـا كثيـراً فـلا نسـتحضر نيَّـة التقـرب، فالغالـب

أَنَّنا نفعل العبادة على أننا ملزَمون بها، فننويها لتصحيح العمل، وهذا نَقْصٌ، ولهذا يقول الله تعالى عند ذِكْرِ العمل: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] و ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨].(١)



(١) انظر الشرح الممتع ١/ ٣٥٨.

فائدة: ما من عامل إلا وله نيّة، ولكن النيات تختلف اختلافًا عظيمًا، وتتباين تبتينًا بعيداً كما بين السماء والأرض. من الناس من نيته في القمة في أعلى شيء، ومن الناس من نيته في القمامة في أخس شيء وأدني شيء؛ حتى إنك لترى الرجلين يعملان عملاً واحداً يتفقان في ابتدائه وانتهائه وفي أثنائه، وفي الحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، وبينهما كما بين السماء والأرض، وكل ذلك باختلاف النية. إذن: الأساس أنه ما من عمل إلا بنية، ولكن النيات تختلف وتتابين.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٨.

فائدة: من أفضل الأسباب التي تعينه على الخشوع في صلاته أن يستحضر أنه واقف بين يدي الله وأنه يناجي ربه عَزَّوَجَلَّ.[1]



(١) انظر فتاوى أركان الإسلام ص ٣٢٣.

فائدة: استشعر وأنت تقول: (الله أكبر) أي: أنَّ الله تعالى أكبر مِن كلِّ شيء في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه، وكلُّ ما تحتمله هذه الكلمة مِن معنى. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. ومَن هذه عظمته فهو أكبر مِن كل شيء. وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧]. فكلُّ معنى لهذه الكلمة مِن معاني الكبرياء فهو ثابتٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.(١)

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ٢٢.

فائدة:

تصور أن الله عز وجل يناجيك وأنت في صلاتك، يسمعك من فوق سبع سماوات ويرد عليك، إذا قلت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: (حمدني عبدي)، وإذا قلت: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: (أثنى علي عبدي)، وإذا قلت: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: (مجّدني عبدي). والتمجيد: التعظيم. ونقرأ الفاتحة على أنها ركن لا تصح الصلاة إلا بها، لكننا لا نشعر بهذه المعاني العظيمة، لا نشعر أننا نناجي الله سبحانه وتعالى. من يشعر بهذا يجد لذة عظيمة للصلاة، ويجد أن قلبه استنار بها، وأنه خرج منها بقلب غير القلب الذي دخل فيها به.(١)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٨٥.

فائدة: المهم أننا نشعر في قولنا: (سُبحانَ رَبِّيَ الأعلى) أنَّ اللهَ عَلِيٌّ في ذاته، وعَلِيٌّ في صفاته، بل هو أعلى مِنْ كلِّ شيء، والله تعالى وَصَفَ نفسَه أحياناً بالأعلى، وأحياناً بالعليِّ، لأن الوصفين ثابتان له: العلو، وكونه أعلى، كما أنه يوصف بأنه الكبير وأنه الأكبر، وبالعليم وبالأعلم. وصيغة التفضيل في هذه الأشياء على بابها، وليست بمعنى اسم الفاعل كما يدَّعيه بعض العلماء.[1]



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٢٥.

فائدة: من أركان الصلاة: الركوع، وهو الانحناء تعظيما لله عز وجل، لأنك تستحضر أنك واقف بين يديّ الله، فتنحني تعظيمـًا له عَزَّوَجَلَّ، ولها قال النبي ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الربّ عز وجلّ»، أي: قولوا (سبحان ربي العظيم)، لان الركوع تعظيم بالفعل، وقول: (سبحان ربي العظيم) تعظيم بالقول، فيجتمع التعظيمان بالإضافة إلى التعظيم الأصلي وهو تعظيم القلب لله، لأنك لا تنحني هكذا إلا لله تعظيما له، فيجتمع في الركوع ثلاثة تعظيمات: ١- تعظيم القلب. ٢- تعظيم الجوارح. ٣- تعظيم اللسان. فالقلب: تستشعر أنك ركعت لله، واللسان: تقول سبحان ربي العظيم، والجوارح: تحني ظهرك.[١]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٩٢.

فائدة: ينبغي للإنسان إذا كان يصلي وقال: (سبحان ربي العظيم). أن يستحضر أمر الله في قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] وأمر الرسول ﷺ في قوله: «اجعلوها في ركوعكم» حتى يجمع بين الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.[١]



(١) انظر تفسير سورة الواقعة ص ٣٤٦.

فائدة: إذا قلنا في دعاء القنوت: (اللهم اهدنا فيمن هديت) فإننا نسأل الهدايتين، هداية العلم وهداية العمل، كما أن قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، يشمل الهدايتين هداية العلم، وهداية العمل، فينبغي للقارئ أن يستحضر أنه يسأل الهدايتين: هداية العلم وهداية العمل. وقوله: (فيمن هديت) هذه من باب التوسل بإنعام الله تعالى على من هداه، أن ينعم علينا نحن أيضًا بالهداية. ويعني: أننا نسألك الهداية فإن ذلك من مقتضى رحمتك وحكمتك ومن سابق فضلك فإنك قد هديت أناسًا آخرين.[١]

(١) انظر شرح دعاء القنوت.

فائدة:

إذا قلنا في دعاء القنوت: (وعافنا فيمن عافيت) أي: عافنا من أمراض القلوب وأمراض الأبدان. وينبغي لك يا أخي أن تستحضر وأنت تدعو، أن الله يعافيك من أمراض البدن، وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلب أعظم من أمراض البدن ولذلك نقول في دعاء القنوت: (اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا). أمراض الأبدان معروفة لكن أمراض القلوب. تعود إلى شيئين: الأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى. الثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل. فالأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى، أن يعرف الإنسان الحقّ، لكن لا يريده؛ لأن له هوًى

مخالفًا لما جاء به النبي ﷺ. **والثاني**: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل؛ لأن الجاهل يفعل الباطل يظنه حقًّا وهذا مرض خطير جدًّا. فأنت تسأل الله المعافاة والعافية من أمراض الأبدان، ومن أمراض القلوب، التي هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.[1]



(١) انظر شرح دعاء القنوت.

فائدة: في قول المصلّي: (والطيبات). الطيبات لها معنيان: المعنى الأول: ما يتعلَّق بالله. المعنى الثاني: ما يتعلَّق بأفعال العباد. فما يتعلَّق بالله فله مِن الأوصاف أطيبها، ومِن الأفعال أطيبها، ومن الأقوال أطيبها، قال النبيُّ ﷺ: «إن الله طيب، لا يَقبلُ إلا طيبًا ...» يعني: لا يقول إلاّ الطيب، ولا يَفعلُ إلا الطَّيب، ولا يتَّصفُ إلا بالطيب، فهو طيب في كُلِّ شيء؛ في ذاته وصفاته وأفعالِه. وله أيضًا مِن أعمال العباد القولية والفعلية الطَّيبُ، فإن الطَّيبَ لا يليقُ به إلا الطَّيب ولا يقدم له إلا الطيب، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور:٢٦]

فهذه سُنَّةُ الله عزّ وجل.

فهل أنت أيُّها المصلِّي تستحضر حين تقول (الطيبات لله) هذه المعاني، أو تقولها على أنها ذِكْرٌ وثناء؟ أغلبُ النَّاسِ على الثاني، لا يستحضر عندما يقول: (الطيبات) أن الله طيِّب في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه وأقوالِه، وأنه لا يليقُ به إلا الطَّيب مِن الأقوال والأفعال الصَّادرة مِن الخَلْقِ.[1]



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٤٨.

فائدة: آكدُ ما يُتطوَّعُ به من العبادات البَدنية: الجِهَاد. وقيل: العِلْم. والصَّحيح: أنه يختلف باختلاف الفاعل؛ وباختلاف الزَّمن، فقد نقول لشَخصٍ: الأفضلُ في حَقِّك الجِهادُ، والآخرُ: الأفضلُ في حَقِّكِ العِلْم، فإذا كان شُجاعًا قويًّا نشيطًا؛ وليس بذاك الذَّكيِّ؛ فالأفضلُ له الجِهاد؛ لأنه أَليقُ به. وإذا كان ذكيًّا حافظًا قويَّ الحُجَّة؛ فالأفضلُ له العِلْم، وهذا باعتبار الفاعل. وأما باعتبار الزَّمن؛ فإننا إذا كُنَّا في زمن تَفَشَّى فيه الجهلُ والبِدعُ، وكَثُرَ مَنْ يُفتي بلا عِلم؛ فالعِلمُ أفضلُ من الجهاد، وإنْ كُنَّا في زمن كَثُرَ فيه العُلماءُ؛ واحتاجتِ الثُّغور إلى مرابطين يدافعون عن البلاد الإسلامية؛ فهنا

الأفضل الجهاد. فإنْ لم يكن مرجِّحٌ، لا لهذا ولا لهذا؛ فالأفضلُ العِلم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العِلمُ لا يَعْدِلُهُ شيء لِمَنْ صَحَّت نيَّتُهُ. قالوا: كيف تصحُّ النيَّةُ؟ قال: ينوي بتواضع، وينفي عنه الجهل).

وهذا صحيح؛ لأنَّ مَبْنَى الشَّرعِ كُلِّه على العِلم، حتى الجهاد مَبْنَاهُ على العِلم، ويدلُّ لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فَنَفَى الله أَنْ يَنْفِر المسلمون كلُّهم إلى الجهاد، ولكن يَنْفِرَ طائفةٌ ويبقى طائفةٌ لتتعلَّم؛ حتى إذا رجع قومُهم إليهم أخبروهم بما عندهم من الشَّرع، ولكن يجب في الجهاد وفي العِلم

تصحيحُ النِّيَّةِ؛ وإخلاصُها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو شرطٌ شديدٌ؛ أعني: إخلاصَ النِّيَّة، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شَرْطُ النِّيَّةِ شَديد؛ لكنه حُبِّبَ إليَّ فجمعتُه).[1]



(١) انظر الشرح الممتع ٤/ ٦.

فائدة: ينبغي للإمام أن يستشعر أنَّه في مقام الرَّسولِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في إمامةِ الجماعة فيتأسَّى به فيما ينبغي أن يكون عليه في الإمامة، ويستشعرُ المأمومون أنهم في مقام أصحابِ الرَّسولِ ﷺ فلا يتخلَّفُون عن الجماعة إلا لعذر ولا يفرِّطون في متابعة الإمام، ولا شَكَّ أنّ ارتباطَ آخِرِ الأمةِ بأوّلِها يعطي الأمةَ الإسلاميَّةَ دُفعةً قويةً إلى إتباع السَّلفِ وإتباع هديهم، وليتنا كُلَّما فعلنا فِعْلاً مشروعًا نستشعرُ أننا نقتدي برسولِ الله ﷺ وبأصحابِهِ الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإنَّ الإنسانَ لا شَكَّ سيجِدُ دُفعةً قويةً في قلبِهِ تجعلُه ينضمُّ إلى سِلْكِ السَّلفِ الصَّالح، فيكون سلفيًّا عقيدةً وعملاً، وسُلوكًا ومنهجًا.[1]

(١) انظر الشرح الممتع ٤/ ١٣٧.

فائدة: كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهى أولاً عن زيارة القبور؛ لأن الناس حديثو عهد بالكفر والشرك، فخاف أن يكون ذلك وسيلة للإشراك، ولما استقر الإيمان في القلوب أذن لهم. فقال لهم ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»، ثم بين الرسول ﷺ الحكمة من ذلك فقال: «فإنها تذكركم الآخرة»، أي: تذكركم بلسان الحال لا بلسان المقال؛ لأن الإنسان إذا جاء إلى القبور، وتذكر أن فلاناً الذي في القبر الآن كان بالأمس معه، يأكل كما يأكل، ويشرب كما يشرب، ويتمتع بمتع الدنيا كما يتمتع، ويستطيع أن يعمل العمل الصالح كما يستطيع هو الآن، إذا تذكر ذلك فلا بد أن

يؤثر على قلبه، وأن يستعد لهذا اليوم الذي آل إليه صاحبه بالأمس، فيتذكر أن مآله إلى هذا القبر، وأنه ربما يكون فيه عن قرب، فيتذكر، ويتّعظ ويمتثل، ولهذا ينبغي للزائر أن يستشعر هذا المعنى، لا أن يستشعر مجرد الدعاء لهم؛ لأن هذا المعنى هو الذي علل به النبي ﷺ الأمر بالزيارة فقال: «فإنها تذكركم الآخرة».[1]



(١) انظر الشرح الممتع ٥/ ٣٧٩.

فائدة: ينبغي للإنسان أن يستحضر أنه في مجيئه إلى مكّة وإحرامه أنه إنما يفعل ذلك تلبية لدعاء الله، قال الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧] فالأذان بأمر الله يعتبر أذانًا من الله فإذا كان الله هو الذي أذّن فأنا أجيبه وأقول: لبيك اللهم لبيك .. الخ.(١)



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٩٢.

فائدة: في قول المُحْرِم: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) (لبيّك) الثانية من باب التوكيد اللفظي المعنوي، هو لفظي؛ لأنه لم يتغير عن لفظ الأول، لكن له معنى جديد فيكرر ويؤكد أنه مجيب لربه مقيم على طاعته: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، لأنك تجيب الله عَزَّوَجَلَّ وكلّما أجبته ازددت إيمانًا به وشوقًا إليه، فكان التكرير مقتضى الحكمة، ولهذا ينبغي لك أن تستشعر وأنت تقول: (لبيك) نداء الله عَزَّوَجَلَّ لك، وإجابتك إياه، لا مجرد كلمات تقال.[1]

(١) انظر الشرح الممتع ٧/ ١٠٦.

فائدة:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما والذي حجّ المحبّون بيته

ولبّوا له عند المهل وأحرموا

وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعًا

لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم

قوله: (وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعًا) أي كشفوا رؤوسهم في الإحرام تواضعًا لله عز وجل، وهذا أمر معروف إلى الآن أن الإنسان يكشف رأسه من باب التواضع وتعظيم مَن كشف رأسه من أجله ...

وقوله: (لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم) يعني من تعنوا له وهو الله عَزَّوَجَلَّ أي تذل له كما

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١]

وهذا معنى لا يكاد أحد من المحرمين يشعر به أنه يكشف الرأس تواضعاً لله عَزَّوَجَلَّ، ولولا أن المرأة عورة لكان من تعظيم شعائر الله أن تكشف رأسها لكن هي عورة فصار في حق الرجل دون المرأة.[١]



(١) انظر التعليق على ميمية ابن القيم ص ٢٥.

فائدة:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وراحوا إلى جمع فباتوا بمشعر الـ
حرام وصلوا الفجر ثم تقدموا
إلى الجمرة الكبرى يريدون رميها
لوقت صلاة العيد ثم تيمموا
منازلهم للنّحر يبغون فضله
وإحياء نسك من أبيهم يعظم
فلو كان يرضى الله نحر نفوسهم
لدانوا به طوعًا وللأمر سلموا
كما بذلوا عند الجهاد نحورهم
لأعدائه حتى جرى منهم الدم

ولكنهم دانوا بوضع رؤوسهم
وذلك ذل للعبيد وميسم

يعني: هؤلاء نَزَلوا شعور رؤوسهم تعظيمًا لله، فإن حلق الرأس لا شك أنه تعظيم، بل إن العسكر الآن إذا مر بهم من يعظمونه خلعوا ما فوق رؤوسهم من القلنسوات تعظيمًا له، فهذا تعظيم لله، ولو رضي الله منهم أن يحلقوا نفوسهم لحلقوها، يعني لذبحوا أنفسهم، انظر إلى إبراهيم عليه السلام لما أمره الله تعالى بذبح ابنه ماذا صنع؟ امتثل، مع أنه ليس له ابن سواه وقد جاءه على كبر، ولكنه امتثالاً لأمر الله استسلم إلا أن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أدركته، فأوحى الله تعالى إليه أن يفديه بذبح عظيم وآتاه أجره كاملاً..[1]

(١) انظر التعليق على ميمية ابن القيم رحمه الله ص ٤٥.

فائدة: الرمل مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى فقط، دون الأربعة الباقية، وسبب مشروعية هذا الرمل أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما قدم مكة في عمرة القضية قال المشركون بعضهم لبعض: (إنه يقدم عليكم قوم وهنتهم حمى يثرب). يعني أتعبتهم حمى المدينة، ثم جلس بعضهم إلى بعض؛ لينظروا إلى النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كيف يطوفون؟ فأمر النبي ﷺ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند ذلك أن يرملوا في الأشواط الثلاثة ...

وهذا في عمرة القضية إظهاراً لقوتهم ونشاطهم؛ ولهذا قال بعض المشركين لبعض: (إنكم تقولون: إن محمداً وأصحابه وهنتهم حمى

يشرب، وإنهم ليثبون وثب الغزلان). يعني: إنهم نشيطون ...

إذن ينبغي لنا ونحن نرمل أن نتذكر أن السبب من هذا الرمل إغاظة المشركين؛ لأن إغاظة أعداء الله من شرع الله، قال تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] فإغاظة الكفّار من المراد المحبوب لله عَزَّوَجَلَّ، وينبغي أن يكون محبوبًا لنا.[١]



(١) انظر الدروس الفقهية ٢/ ٢١٢.

فائدة: في حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فلما دنا من الصفا - يعني قرب منه - قرأ: أبدأ بما بدأ الله به» وفائدة هذه القراءة إشعار نفسه بأنه إنما اتجه إلى السعي امتثالاً لما أرشد الله إليه في قوله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨] وليعلم الناس أنهم إنما يسعون بين الصفا والمروة من أجل أنهما من شعائر الله، وليعلم الناس أيضا أنه ينبغي للإنسان إذا فعل عبادة أن يشعر نفسه أنه يفعلها طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ كما لو توضأ الإنسان فينبغي أن يستشعر عند وضوئه أن يتوضأ امتثالا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]. ويشعر

أيضا أنه يتوضأ كأن النبي ﷺ أمامه يتبعه في وضوئه وهكذا جميع العبادات، فإذا استشعر الإنسان عند فعل العبادة أنه يفعلها امتثالاً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يجد لها لذةً وأثراً طيبًا.[1].



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٣٥

فائدة:

في حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ قال: «فقرأ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» قرأ ذلك في حال نفوذه إشارة إلى أنه إنما فعل ذلك امتثالا لأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وهذا أمر مطلوب منا عندما نفعل العبادات أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالاً لأمر الله تعالى لأن شعور الإنسان عندما يفعل العبادة بأنه يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فإن هذا مما يزيد في إيمانه ويجد لها لذة، وهذه هي نية المعمول له. بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل عن هذا المعنى فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون على النيات إن النية نوعان نيَّة

العمل ونيَّة المعمول له والأخيرة أعظم مقاما من الأولى لأن نية العمل تأتي ضرورة فما من إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده حتى قال بعض العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ (لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف ما لا يطاق. لكن المقام الأسمى والأعلى نية المعمول له التي تغيب عنا كثيراً)[1].



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٣٢.

فائدة:

ينبغي لك وأنت تسعى أن تستشعر بأنك في ضرورة إلى رحمة الله عز وجل كما كانت أم إسماعيل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في ضرورة إلى رحمة الله سبحانه وتعالى فكأنك تستغيث به تبارك وتعالى من آثار الذنوب وأوصابها.(١)



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٠١.

فائدة: ينبغي الإسراع في (بَطْنِ مُحَسِّرٍ)، وهو الوادي الذي بين مزدلفة ومنى؛ لأن النبي ﷺ أسرع فيه. والأصل فيما فعله في هذه العبادة أنه من التعبد وليس من العادة حتى يتبين أنه عادة. والظاهر أنه لا يمكن الإسراع الآن؛ لأن الإنسان محبوس بالسيارات فلا يمكن أن يتقدم أو يتأخر وربما ينحبس في نفس المكان فيعجز أن يمشي ولكن نقول: هذا شيء بغير اختيار الإنسان فينوي بقلبه أنه لو تيسر له أن يسرع لأسرع وإذا علم الله من نيته هذا فإنه قد يثيبه على ما فاته من الأجر والثواب.[١]

(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٢٨

فائدة: أمر نغفل عنه كثيراً، فكثير من الناس في معاشرته لزوجته بالمعروف، قصده أن تدوم العشرة بينهما على الوجه الأكمل، ويغيب عن ذهنه أن يفعل ذلك تقرباً إلى الله تعالى، وهذا كثيراً ما ينساه، ينسيه إياه الشياطين، وعلى هذا فينبغي أن تنوي بهذا أنك قائم بأمر الله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] وإذا نويت ذلك حصل لك الأمر الثاني، وهو دوام العشرة الطيبة، والمعاملة الطيبة، وكذلك بالنسبة للزوجة.

وكذا كل ما أمر به الشرع ينبغي للإنسان عند فعله أن ينوي امتثال الأمر ليكون عبادة، ففي الوضوء - مثلاً - إذا أردنا أن نتوضأ نقصد أن

هذا شرط من شروط الصلاة، لا بد من القيام به، ونستحضر أننا نقوم بأمر الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] قد نذكره أحيانًا، ولكننا ننساه كثيراً، وهل عندما نفعل هذا نشعر بأن الرسول ﷺ كأنه أمامنا، وأننا نقتدي به فنكون بذلك متبعين؟ هذا قد نفعله أحيانًا، ولكنه يفوتنا كثيراً، فينبغي للإنسان أن يكون حازمًا لا تفوته الأمور والأجور بمثل هذه الغفلة.[١]



(١) انظر الشرح الممتع ١٢/ ٣٨٣.

فائدة:

يجب على الإنسان أن يخلص النيّة لله سبحانه تعالى في جميع عباداته، وأن لا ينوى بعباداته إلا وجه الله والدار الآخرة. وهذا هو الذي أمر الله به في قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، أي مخلصين له العمل، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وينبغي أن يستحضر النية، أي: نيَّة الإخلاص في جميع العبادات. فينوى مثلاً الوضوء، وأنه توضأ لله، وأنه توضأ أمثالاً لأمر الله. **فهذه ثلاثة أشياء**: نيَّة العبادة. ونية أن تكون لله. ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله. فهذا أكمل شيء في النيَّة.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٤.

فائدة: اشترط رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للشهادة أن يكون الإنسان يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله؛ أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا. فيجب على طلبة العلم أن يبينوا للناس أن القتال للوطن -فقط- ليس قتالاً صحيحًا وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وأقاتل عن وطني؛ لأنه وطن إسلامي؛ فأحميه من أعدائه وأعداء الإسلام؛ فبهذه النية تكون النية صحيحة والله الموفق.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٥.

فائدة:

الإنسان إذا نوى العمل الصالح، ولكنه حبسه عنه حابس فإنه يكتب له أجر ما نوى. أما إذا كان يعلمه في حال العذر؛ أي: لما كان قادراً كان يعلمه، ثم عجز عنه فيما بعد؛ فإنه يكتب له أجر العمل كاملاً، لأن النبي ﷺ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا». فالمُتَمنّي للخير، الحريص عليه؛ إن كان من عادته أنه كان يعلمه، ولكنه حبسه عنه حابس، كتب له أجره كاملاً.

فمثلاً: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلّي مع الجماعة في المسجد، ولكنه حبسه حابس، كنوم أو مرض، أو ما أشبهه فإنه يكتب له أجر المصلّي مع الجماعة تمامًا من غير نقص.

وكذلـك إذا كان الإنسـان مـن عادتـه أن يصلـي تطوعـًا، ولكنه منعه منه مانع، ولـم يتمكـن منه؛ فإنه يكتـب لـه أجـره كامـلاً، وكذلـك إن كان مـن عادتـه أن يصـوم مـن كل شـهر ثلاثـة أيـام، ثـم عجـز عـن ذلـك، ومنعـه مانـع، فإنـه يكتـب لـه الأجـر كامـلاً. وغيـره مـن الأمثلـة الكثيـرة. أمـا إذا كان ليـس مـن عادتـه أن يفعلـه؛ فإنـه يكتـب لـه أجـر النيـة فقـط، دون أجـر العمـل. ودليـل ذلـك: أن فقـراء الصحابـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالـوا: (يـا رسـول الله سبقنا أهـل الدثـور بالدرجات العلـي، والنعيم المقيـم) – يعنـي: أن أهـل الأمـوال سـبقوهم بالصدقـة والعتـق – فقـال النبـي ﷺ: «أفـلا أخبركـم بشـي إذا فعلتمـوه أدركتـم مـن سـبقكم ولـم يدرككـم أحـد إلا مـن عمـل مثـل مـا عملتـم!!

فقال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» ففعلوا، فعلم الأغنياء بذلك؛ ففعلوا مثلما فعلوا، فجاء الفقراء إلى الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقالوا: (يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا؛ ففعلوا مثله)، فقال النبي ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» والله ذو الفضل العظيم. ولم يقل لهم: إنكم أدركتم أجر عملهم، ولكن لا شك أن لهم أجر نية العمل. ولهذا ذكر النبي ﷺ فيمن آتاه الله مالاً؛ فجعل ينفقه في سبل الخير، وكان رجل فقير يقول: (لو أن لي مال فلان لعملت مثل عمل فلان)، قال النبي ﷺ: «فهو بنيته، فأجرهما سواء». أي سواء في اجر النية، أما العمل فإنه لا يكتب له أجره إلا إن كان من عادته أن يعمله.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٦.

فائدة:

قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتي المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة، ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلي فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه»[1]، قوله: (فلم

(١) متفق عليه

يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة) سواء أقرب مكانه من المسجد أم بعد، كل خطوة يحصل بها فائدتان: الفائدة الأولى: أن الله يرفعه بها درجة. والفائدة الثانية: أن الله يحط بها خطيئة، وهذا فضل عظيم. حتى يدخل المسجد؛ فإذا دخل المسجد فصلي ما كتب له، ثم جلس ينتظر الصلاة؛ «فإنه في صلاة ما انتظر الصلاة»؛ وهذه أيضًا نعمة عظيمة؛ لو بقيت منتظراً للصلاة مدة طويلة، وأنت جالس لا تصلي، بعد أن صليت تحية المسجد، - وما شاء الله- فإنه يحسب لك أجر الصلاة. وهناك أيضًا شيء رابع: أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مجلسه الذي صلي فيه، تقول (اللهم صل عليه، اللهم أغفر

له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه) وهذا أيضًا فضل عظيم لمن حضر بهذه النية وبهذه الأفعال. والشاهد من هذا الحديث قوله: «ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة» فإنه يدل على اعتبار النية في حصول هذا الأجر العظيم. أما لو خرج من بيته لا يريد الصلاة، فإنه لا يكتب له هذا الأجر؛ مثل أن يخرج من بيته إلى دكانه؛ ولما أذن ذهب يصلي؛ فإنه لا يحصل على هذا الأجر؛ لأن الأجر إنما يحصل لمن خرج من البيت لا يخرجه إلا الصلاة. لكن ربما يكتب له الأجر من حين أن ينطلق من دكانه، أو من مكان بيعه وشرائه إلى أن يصل إلى المسجد؛ ما دام انطلق من هذا المكان وهو على طهارة. والله الموفق.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٧٣.

فائدة: قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه»[1]، هذا الحديث:

فيه دليل على أن الإنسان يكَفّر عنه بما يصيبه من الهم والنصب والغم وغير ذلك، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى، يبتلي سبحانه تعالى عبده بالمصائب وتكون تكفيراً لسيئاته وحطا لذنوبه.

والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسروراً دائمًا، بل هو يومًا يسر ويومًا يحزن، ويومًا يأتيه شيء ويومًا لا يأتيه، فهو

(١) متفق عليه.

مصاب بمصائب في نفسه ومصائب في بدنه. ومصائب في مجتمعه ومصائب في أهله، ولا تحصي المصائب التي تصيب الإنسان، ولكن المؤمن أمره كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خير له.

فإذا أصبت بالمصيبة فلا تظن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيك ولو كان شوكة، لا تظن أنه يذهب سدى، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها، وهذا من نعمة الله.

وإذا زاد الإنسان على ذلك الصبر والاحتساب، يعني: احتساب الأجر، كان له مع هذا أجر. فالمصائب تكون على وجهين: تارة إذا أصيب

الإنسان تذكر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب؛ وزيادة الحسنات. وتارة يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويصيبه ضجر أو ما أشبه ذلك، ويغفل عن نية احتساب الأجر والثواب على الله، فيكون في ذلك تكفير لسيئاته، إذا هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه. فإما أن يربح تكفير السيئات وحط الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينو شيئا ولم يصبر ولم يحتسب الأجر. وإما أن يربح شيئين: تكفير السيئات، وحصول الثواب من الله عَزَّوَجَلَّ كما تقدم.

ولهذا ينبغي للإنسان إذا أصيب ولو بشوكة، فليتذكر احتساب الأجر من الله على هذه

المصيبة، حتى يؤجر عليها، مع تكفيرها للذنوب. وهذا من نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجوده وكرمه، حيث يبتلي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى أو يكفر عنه سيئاته.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٢٤٤.

فائدة: قصة غريبة رواها أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه بيما رجل يمشي في الطريق مسافراً، أصابه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، وانتهى عطشه، فلما خرج، وإذا بكلب يأكل الثرى من العطش، يعني: يأكل الطين المبتل الرطب، يأكله من العطش، من أجل أن يمص ما فيه من الماء، من شدة عطشه، فقال الرجل: (والله لقد أصاب الكلب من العطش ما أصابني، أو بلغ بهذا الكلب من العطش ما يلغي بي)، ثم نزل البئر وملأ خفه ماء. الخُف: ما يلبس على الرجل من جلود ونحوها، فملأه ماء فأمسكه بفيه، وجعل يصعد بيديه، حتى صعد من البئر، فسقى الكلب، فلما سقى

الكلب شكر الله له ذلك العمل، وغفر له، وأدخله الجنة بسببه. وهذا مصداق قول النبي ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»، عمل يسير شكر الله به عامل هذا العمل، وغفر له الذنوب، وأدخله الجنة.

ولما حدث ﷺ الصحابة بهذا الحديث، وكانوا رضي الله عنهم أشدّ الناس حرصًا على العلم، لا من أجل أن يعلموا فقط، لكن من أجل أن يعلموا فيعملوا. سألوا النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجر»؛ لأن هذا كلب من البهائم، فكيف يكون لهذا الرجل الذي سقاه هذا الأجر العظيم؟ هل لنا في البهائم من أجر؟ قال: «في كل ذات كبد رطبة

أجر» الكبد الرطبة تحتاج إلى الماء؛ لأنه لولا الماء ليبست وهلك الحيوان.

إذن نأخذ من هذه قاعدة، وهي أن الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا قص علينا قصة من بني إسرائيل فذلك من أجل أن نعتبر بها، وأن نأخذ منها عبرة، وهذا كما قال الله عز وجل: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:١١١].

وفي رواية أخرى، ولعلها قصة أخرى، أن امرأة بغيًا من بغايا بني إسرائيل، يعني أنها تمارس الزنا ـ والعياذ بالله ـ رأت كلبًا يطوف بركية، يعني يدور عليها عطشان، لكن لا يمكن أن يصل إلى الماء؛ لأنها ركية بئر، فنزعت موقها ـ يعني الخف الذي تلبسه ـ استقت له به من هذا البئر، فغفر الله لها.

فدل هذا على أن البهائم فيها أجر. كل بهيمة أحسنت لها بسقي، أو إطعام، أو وقاية من حر، أو وقاية من برد، سواء كانت لك أو لغيرك من بني آدم، أو كانت من السوائب، فإن لك في ذلك أجراً عند الله عَزَّوَجَلَّ هذا وهن بهائم؛ فكيف بالآدميين؟ إذا أحسنت إلى الآدميين كان أشد وأكثر أجراً. ولهذا قال النبي ﷺ «من سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم». يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك: أريد ماء، وأسقيته وهو ظمآن، فقد سقيت مسلمًا على ظمأ، فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم. أجر كثير، ولله الحمد، غنائم ولكن أين القابل لهذه الغنائم؟ أين الذي يخلص النية، ويحتسب الأجر على

الله عَزَّوَجَلَّ؟ فأوصيك يا أخي ونفسي لأن تحرص دائمًا على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً! .[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧١.

فائدة: الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة معنوية وطهارة حسية، فالطهارة المعنوية، وهي التي ينبغي أن يقصدها المسلم، فهي تطهيره من الذنوب، فإذا غسل وجهه، خرجت كل خطايا نظر إليها بعينه، وذكر العين - والله أعلم - إنما هو على سبيل التمثيل، وإلا فالأنف قد يخطئ، والفم قد يخطئ؛ فقد يتكلم الإنسان بكلام حرام، وقد يشم أشياء ليس له حق يشمها، ولكن ذكر العين؛ لأن أكثر ما يكون الخطأ في النظر. فلذلك إذا غسل الإنسان وجهه بالوضوء خرجت خطايا عينيه، فإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه، فإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه، حتى يكون نقيًا من الذنوب. ولهذا

قال الله تعالى حين ذكر الوضوء والغسل والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، يعني ظاهراً وباطنًا، حسًا ومعنى، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: ٦] فينبغي للإنسان إذا توضأ أن يستشعر هذا المعنى، أي أن وضوءه يكون تكفيراً لخطيئاته، حتى يكون بهذا الوضوء محتسبًا الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ والله الموفق.(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٨٢.

فائدة: لا شَكّ أن للنيّة أثراً كبيراً في صحة الأعمال، وأثراً كبيراً في ثوابها، وكم من شخصين يصليان جميعًا بعضهما إلى جنب بعض، ومع ذلك يكون بينهما في الثواب مثل ما بين السماء والأرض، وذلك بصلاح النية وحسن العمل، فكلما كان الإنسان أصدق إخلاصًا لله وأقوى اتباعًا لرسول الله ﷺ كان أكثر أجراً، وأعظم أجراً عند الله عَزَّوَجَلَّ.(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٩٩.

فائدة: ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه، فإنه إذا نوى هذه النية لم ينزل الله البركة في أمره ولا نهيه؛ بل يكون كالطبيب يريد معالجة الناس ودفع البلاء عنهم، فينوى بأمره ونهيه أولاً: إقامة شرع الله، وثانيًا: إصلاح عباد الله، حتى يكون مصلحًا وصالحًا، نسأل الله أن يجعلنا من الهُداة المهتدين المصلحين إنه جواد كريم.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٤٠٨.

فائدة: ينبغي للإنسان حين تسحّره أن يستحضر أنه يتسحّر امتثالا لأمر الله ورسوله ويتسحّر مخالفة لأهل الكتاب وكرها لما كانوا عليه ويتسحّر رجاء البركة في هذا السحور، ويتسحّر استعانة به على طاعة الله حتى يكون هذا السحور الذي يأكله خيرا وبركة وطاعة.[١]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٢٨٥.

فائدة:

كان كلام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فصلاً يعني مفصلاً لا يدخل الحروف بعضها على بعض ولا الكلمات بعضها على بعض حتى لو شاء ألعادّ أن يحصيه لأحصاه من شدّة تأنيه ﷺ في الكلام وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يكون كلامه متداخلاً بحيث يخفي على السامع لأن المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب وكلما كان أقرب إلى الإفهام كان أولى وأحسن، ثم إنه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة يعني إذا جعل كلامه فصلاً بينًا واضحًا وكرره ثلاث مرات لمن لم يفهم ينبغي أن يستشعر في هذا أنه متبع لرسول الله ﷺ حتى يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم وهكذا

جميع السنن اجعل على بالك أنك متبع فيها لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى يتحقق لك الإتباع.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٦٦.

فائدة: ورد في الحديث أن «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه تخرج خطاياه من هذا الوضوء حتى من تحت أظفاره» وعلى هذا فالوضوء يكون سببا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار وهذه الأحاديث وأمثالها تدل على أن الوضوء من أفضل العبادات وأنه عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ يعني أن يستحضر وهو يتوضأ أنه يتقرب إلى الله كما أنه إذا صلى يستشعر أنه يتقرب إلى الله كذلك وهو يتوضأ ويستشعر بأنه يمتثل أمر الله في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] ويستشعر أيضًا أنه متبع

لرسول الله ﷺ في وضوئه وكذلك أيضا يستحضر أنه يريد الثواب وأنه يثاب على هذا العمل حتى يتقنه ويحسنه والله الموفق.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ١١.

فائدة: من فضائل الوضوء كما في حديث عثمان رضي الله عنه أنه توضأ فغسل كفيه ثلاثًا وتمضمض واستنشق ثلاثًا بثلاث غرفات وغسل وجهه ثلاثًا وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثًا ومسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ومسح أذنيه وغسل رجليه ثلاثًا إلى الكعبين قال النبي ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث بهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه» وهذا شيء يسير ولله الحمد أن الإنسان يعمل هذا العمل ثم يغفر ما تقدم من ذنبه، وأخذ العلماء من ذلك أنه يستحب لمن أسبغ الوضوء أن يصلي ركعتين وتسمى سنة الوضوء سواء في الصباح أو

المساء في الليل أو النهار بعد الفجر أو بعد العصر لأنها سنة لها سبب، فإذا توضأ الإنسان نحو وضوء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه يصلي ركعتي يغفر له ما تقدم من ذنبه وفي الحديث قال: «كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة» يعني: زائد على مغفرة الذنوب وليس معنى نافلة يعني صلاة تطوع قد تكون صلاة فريضة ولكن نافلة يعني زائدا على مغفرة الذنوب لأن ذنوبه غفرت بوضوئه وصلاته الأولى فيكون مشيه للمسجد وصلاته ولو فريضة نافلة أي زيادة على مغفرة الذنوب لأن النفل في اللغة معناه الزيادة كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في

أن الوضوء تخرج به الخطايا إذا غسلت وجهك خرجت خطايا وجهك مع الماء أو مع آخر قطر الماء أو هنا للشك من الراوي وعلى كل حال فإن الإنسان إذا غسل وجهه خرجت خطايا وجهه وإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه التي كان قد بطش بها، وإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه حتى يخرج نقيا من الذنوب ولله الحمد، فهذا دليل على فضيلة الوضوء ولكن من منّا يستحضر هذا الفضل فهل يكتب هذا الفضل للإنسان سواء أستحضره أم لا؟ الظاهر إن شاء الله أنه يكتب له سواء أستحضر أو لم يستحضر، لكن إذا استحضر فهو أكمل لأنه إذا استحضر هذا احتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ وأيقن أنه

سيجازى ويكافأ على هذا العمل جزاءً وفاقًا بخلاف ما إذا توضأ وهو غافل لكننا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكتب هذا الأجر حتى من الإنسان الغافل الذي يتوضأ على سبيل إبراء ذمته والله الموفق.[١]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ١٤.

فائدة: ينبغي للإنسان أن يأتي إلى المسجد ماشيًا ويرجع ماشيًا فهو الأفضل ودليل ذلك قصة الأنصاري الذي كان بعيد الدار فقيل له (لو اشتريت حمارا تركبه في الظلماء والرمضاء) فقال: (لا فأنا أحتسب على الله خطاي) فقال النبي ﷺ «قد كتب الله لك ذلك كله» فدلّ ذلك على أن المجيء إلى المسجد على القدمين أفضل من المجيء على مركوب لأنه يحسب لك أجر الخُطا، ولكن إذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة وخطوة السيارة دورة لعجلتها إذا دار عجلها دورةً واحدة فهذه خطوة لأنه عند دوراته يرتفع الذي باشر الأرض ثم يدور حتى يرجع ثانية إلى الأرض

فهو كرفع القدم من الأرض ثم وضعها مرة ثانية، فإذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة وهذا أيضًا من فضائل المشي إلى المساجد أن الله تعالى يكتب للإنسان الخطوات كلما ذهب وكلما رجع.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٦٣.

فائدة: السلام بمعنى الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: (السلام عليك) فهذا يعني أنك تدعو له بأن الله يسلمه من كل آفة: يسلمه من المرض من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار فهو لفظ عام معناه الدعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل آفة.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من محبتهم لله عز وجل كانوا يقولون في صلاتهم السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان فنهاهم النبي ﷺ أن يقولوا السلام على الله، السلام على عباده. وقال: «إن الله هو السلام» يعني السالم من كل عيب ونقص جل

وعلا فلا حاجة أن تثنوا عليه بالدعاء بأن يسلم نفسه ثم قال لهم: «قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؟ لا أدري هل نحن نستحضر أننا نسلم على أنفسنا، السلام علينا وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض يعني نسلم على الأنبياء نسلم على الصحابة نسلم على التابعين لهم بإحسان، نسلم على أصحاب الأنبياء كالحواريين أصحاب عيسى عليه السلام والذين اختارهم موسى عليه السلام سبعين رجلاً وغير ذلك هل نحن نستحضر أننا نسلم على جبريل وعلى ميكائيل

وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة لا أدري هل نحن نستحضر هذا أم لا؟ إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك لأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»[١].



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٨١.

فائدة: الذي يطلب العلم الشرعي في الجامعة من أجل أن ينال الشهادة؛ نقول ما الذي تريده هل أنت تريد أن تنال الشهادة من أجل أن تكون المرتبة الفلانية وراتبك كذا وكذا إذا قال نعم أنا فقير أنا أريد هذا نقول خبت وخسرت ما دمت تريد الدنيا، أما إذا قال لا أنا أريد أن أنفع الخلق لأن الأمور الآن لا يمكن الوصول إلى نفع الخلق بالتدريس إلاّ بالشهادات وأنا أريد أن أصل إلى هذا أو لا يوظف الإنسان وظيفة كبيرة يكون قائد فيها على جماعة من المسلمين إلا بالشهادة وأنا أريد هذا قلنا الحمد لله هذه نية طيبة وليس عليك شيء والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما

نـوى. **المهـم احـذر أخـي طالـب العلـم** احـذر مـن النيـات السـيئة العلـم الشـرعي أعـز وأرفـع وأعلـى مـن أن تريـد بـه عرضـا مـن الدنيـا عـرض الدنيـا مـا الـذي تنتفـع بـه آخـر أمـره أن يكـون في محـل القـاذورات تـأكل وتشـرب ويذهـب للمرحـاض! وألـذ مـا يتطلبـه الإنسـان هـو الأكل والشـرب في المنافـع البدنيـة؛ ومـع ذلـك نهايتـه المرحـاض أيضـا! لـو بقيـت عنـدك الدنيـا فلابـد إمـا أن تفارقهـا أو تفارقـك؛ إمّـا أن تفتقـر وتعـدم المـال؛ وإمـا أن تمـوت ويذهـب المـال لغيـرك. لكـن أمـور الآخـرة تبقـى فلمـاذا تجعـل العلـم الشـرعي الـذي هـو مـن أجـل العبـادات وأفضـل العبـادات تجعلـه سـلما لتنـال بـه عرضـا مـن الدنيـا؟ هـذا سـفه في العقـل وضـلال في الديـن.

العلم الشرعي اجعله لله عز وجل ولحماية شريعة الله ورفع الجهل عن نفسك وعن إخوانك المسلمين. وللدلالة على الهدى ولتنال ميراث النبي ﷺ لأن العلماء ورثة الأنبياء. نسأل الله أن يخلص لنا ولكم النية ويصلح العمل إنه على كل شيء قدير.[(١)]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٤٥١.

فائدة: الإحسان إلى عباد الله: أن تعاملهم بما هو أحسن؛ في الكلام، والأفعال، والبذل، وكف الأذى، وغير ذلك، حتى في القول؛ فإنك تعاملهم بالأحسن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، **يعني**: إن لم تفعلوا فتردوا بأحسن منها، فلا أقل من أن تردوها؛ ولهذا قال كثير من العلماء: إذا قال المسلم: (السلام عليكم ورحمة الله)، قل: (وعليكم السلام ورحمة الله). هذا أدنى شيء، فإن زدت: (وبركاته) فهو أفضل؛ لأن الله قال: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾، فبدأ بالأحسن ثم قال ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾، كذلك إذا سلم عليك إنسان بصوت واضح بين؛ ترد عليه

بصوت واضح بين على الأقل، كثير من الناس - أو بعض الناس - إذا سلمت عليه ردَّ عليك السلام بأنفه، حتى إنك تكاد لا تسمعه في رد السلام، وهذا غلط؛ لأن هذا خلاف ما سلم عليك به، يسلم عليك بصوت واضح ثم ترد بأنفك!! هذا خلاف ما أمر الله به.

كذلك الإحسان بالفعل؛ مثل معونة الناس ومساعدتهم في أمورهم. فإذا ساعدت إنسانًا فقد أحسنت إليه، مساعدة بالمال، بالصدقة بالهدية، بالهبة وما أشبه ذلك هذا من الإحسان.

ومن الإحسان أيضًا: أنك إذا رأيت أخاك على ذنب؛ أن تبين له ذلك وتنهاه عنه؛ لأن هذا من أعظم الإحسان إليه، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أنصر أخاك ظالمًا أو

مظلومًا» قالوا: (يا رسول الله، هذا المظلوم فكيف ننصر الظالم؟) قال: «أن تمنعه من الظلم» فإن منعك إياه من الظلم نصر له وإحسان إليه، والمهم أنه ينبغي لك - في معاملة الناس - أن تستحضر هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فتحسن إليهم بقدر ما تستطيع.(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٤.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، لما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصية الله، وصبروا على أقدار الله؛ صبروا على طاعة الله ففعلوا ما أمر، وصبروا عن معصية الله فتركوا ما نهى عنه، وصبروا على أقدار الله التي تأتيهم من أجل دعوتهم إلى الحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ لأن الإنسان إذا نصب نفسه داعية للحق آمراً بالمعروف وناهيًا عن المنكر، فلابد أن يصيبه من الأذى ما يصيبه، لأن أكثر الذين يكرهون الحق سوف يكونون أعداء له فليصبر، وكذلك أقدار الله التي تأتي بدون هذا أيضًا يصبرون

عليها. ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ يوقنون بما أخبرهم الله به، ويوقنون بالجزاء الذي يحصل لهم في فعل الأوامر، وترك النواهي، وفي الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أنهم يعملون وهم يوقنون بالجزاء، وهذه نقطة ينبغي لنا أن ننتبه لها، أن نعمل ونحن نوقن بالجزاء، كثير من الناس يعملون، يصلّون ويصومون ويتصدقون بناء على أن هذا أمر الله، وهذا طيب ولا شك أنه خير، لكن ينبغي أن تدرك وأن تستحضر بأنك إنما تفعل هذا رجاء الثواب وخوف العقاب، حتى تكون موقنًا بالآخرة.

وقد أخذ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الآية عبارة طيبة، فقال: (بالصبر واليقين تنال الإمامة

في الدين) أخذها من قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. أسأل الله أن يجعلني وإياكم أئمة في دين الله، هداة لعباد الله مهتدين، إنه جواد كريم.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٣٤٠.

فائدة: كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعلم الرجل إذا أسلم كيف يصلّي ويأمره بهذا الدعاء «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» خمس كلمات يعلمها النبي ﷺ الرجل إذا أسلم اللهم اغفر لي يعني الذنوب والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨] ولكن مع ذلك فطلب المغفرة يستمر حتى بعد الإسلام فيكون من كل مسلم لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب كما جاء في الحديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون. (وارحمني) يعني

أسبغ عليّ رحمتك ففيه طلب المغفرة والمغفرة النجاة من السيئات والآثام والعقوبات وفيه طلب الرحمة والرحمة حصول المطلوبات لأن الإنسان لا يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب. (واهدني) وقد سبق لنا بيان معنى الهداية أنها هداية علم وبيان وهداية توفيق ورشد. (وعافني وارزقني) عافني أي من كل مرض والأمراض نوعان: مرض قلبي كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ [البقرة: ١٠] ومرض جسمي في الأعضاء في البدن؛ وإذا سألت الله العافية فالمراد من هذا ومن هذا. ومرض القلب أعظم من مرض البدن لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر من الله؛ صار

رفعة في درجاته وتكفيراً لسيئاته والنهاية فيه الموت والموت مآب كل حي؛ ولابد منه لكن مرض القلب والعياذ بالله فيه فساد الدنيا والآخرة؛ إذاً مرض القلب بالشك أو بالشرك أو النفاق أو كراهة ما أنزل الله أو بغض أولياء الله أو ما أشبه ذلك؛ فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته، ولهذا؛ ينبغي لك إن سألت الله العافية أن تستحضر أنك تسأل الله العافية من مرض القلب والبدن، مرض القلب الذي مداره على شك أو شرك أو شهوة، وكذلك اللفظ الآخر الذي ذكره المؤلف رحمه الله أن النبي ﷺ سأله رجل عن ما الذي ينفعه وما الذي يحتاجه فأمره أن يدعو بهذا الدعاء «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني». فينبغي

للإنسان أن يحرص على هذا الدعاء الذي علمه النبي ﷺ أمته والذي يبادر بتعليمه إذا أسلم (ارزقني) يعني الرزق الذي يقوم به البدن من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك. والرزق الذي يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن ورزق يقوم به القلب والدين، والإنسان إذا قال (ارزقني) فهو يسأل الله هذا وهذا والله الموفق.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٦/ ٢١.

فائدة: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وهذه تستوجب أن أكثر التوبة إلى الله عز وجل، أكثر أن أرجع إلى الله بقلبي وقالبي، ومجرد قول الإنسان: أتوب إلى الله. هذا قد لا ينفع، لكن تستحضر وأنت تقول: (أتوب إلى الله) أن بين يديك معاصي، ترجع إلى الله منها وتتوب؛ حتى تنال بذلك محبة الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ ، ﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إذا غسلت ثوبك من النجاسة، تحس بأن الله أحبك؛ لأن الله يحب المتطهرين؛ إذا توضأت تحس بأن الله أحبك؛ لأنك تطهرت؛ إذا اغتسلت تحس أن الله أحبك؛ لأن الله يحب المتطهرين...

وَوالله إننا لغافلون عن هذه المعاني، أكثر ما نستعمل الطهارة من النجاسة أو من الأحداث، لأنها شرط لصحة الصلاة؛ خوفًا من أن تفسد صلاتنا، لكن يغيب عنا كثيرًا أن نشعر بأن هذا قربة وسبب لمحبة الله لنا، لو كنا نستحضر عندما يغسل الإنسان نقطة بول أصابت ثوبه أن ذلك يجلب محبة الله له لحصلنا خيرًا كثيرًا، لكننا في غفلة.[1]



(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠٢.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]. هذا أيضًا يستوجب أن نحرص غاية الحرص على إتباع النبي ﷺ بحيث نترسم طريقه، لا نخرج منه، ولا نقصر عنه، ولا نزيد ولا ننقص. وشعورنا هذا يحمينا من البدع، ويحمينا من التقصير، ويحمينا من الزيادة والغلو، ولو أننا نشعر بهذه الأمور، فانظر كيف يكون سلوكنا آدابنا وأخلاقنا وعباداتنا.



فائدة: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن الإيمان باليوم الآخر: (الإيمان بكل ما أخبر به النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما يكون بعد الموت: كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر). وذلك لأن الإنسان إذا مات؛ دخل في اليوم الآخر، ولهذا يقال: من مات؛ قامت قيامته؛ فكل ما يكون بعد الموت؛ فإنه من اليوم الآخر.

إذًا؛ ما أقرب اليوم الآخر لنا؛ ليس بيننا وبينه إلا أن يموت الإنسان، ثم يدخل في اليوم الآخر ليس فيه إلا الجزاء على العمل. ولهذا يجب علينا أن ننتبه لهذه النقطة. فكر أيها الإنسان؛ تجد أنك على خطر؛ لأن الموت ليس له أجل معلوم عندنا؛ قد يخرج الإنسان من

بيته ولا يرجع إليه، وقد يكون الإنسان على كرسي مكتبه ولا يقوم منه، وقد ينام الإنسان على فراشه ولكنه يحمل من فراشه إلى سرير غسله؛ وهذا أمر يستوجب منا أن ننتهز فرصة العمر بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يكون الإنسان دائما يستشعر بأنه تائب إلى الله وراجع ومنيب حتى يأتيه الأجل وهو على خير ما يرام.[١]



(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٤٧٤.

فائدة: هذه حال ينبغي أن يتنبه لها، وهو أننا كل ما نقوله وكل ما نفعله نشعر حال قوله أو فعله أننا نتبع فيه الرسول ﷺ، مع الإخلاص لله، لتكون أقوالنا وأفعالنا كلها عبادات لله عز وجل، ولهذا يقال: (إن عبادات الغافلين عادات، وعادات المتنبهين عبادات). فالإنسان الموفق يمكن أن يحول العادات إلى عبادات، والإنسان الغافل يجعل عباداته عادات. فليحرص المؤمن على أن يجعل أقواله وأفعاله كلها تبعا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ينال بذلك الأجر، ويحصل به كمال الإيمان والإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣.

فائدة:

ينبغي علينا أن نعرف ما معنى العبادة حتى نكون على بصيرة من أمرنا في معرفة كلام الله عز وجل، العبادة أيها الإخوة تطلق على معنيين: على التعبد، وعلى المتعبد به، فعلى المعنى الأول: يكون معنى العبادة: أن يتذلل الإنسان لربه بامتثال أمره واجتناب نهيه محبة له وتعظيما. فيكون هذا الوصف عائدا للإنسان العابد، أما على المعنى الثاني: أن العبادة تطلق على معنى المتعبد به فقد حدها شيخ الإسلام رحمه الله في تعريف من أحسن ما يكون من التعاريف فقال: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة). فالصلاة إذًا عبادة، والزكاة عبادة

والصوم عبادة، والحج عبادة لا يريد الله عز وجل منا بهذه العبادات أن يتعبنا فقط ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النساء: ١٤٧] ما يريد الله عز وجل أن يحرجنا في هذه العبادات ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨] وإنما أراد بهذه العبادات أراد بها أن نصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وحينئذ نعرف أن هذه العبادات ليست تكليفا وإشقاقًا علينا. وإنما هي لمصلحتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة. ولا يمكن أن تستقيم الدنيا إلا بالعبادة ولست أريد بالعبادة مجرد الحقوق الخاصة بالله عَزَّوَجَلَّ حتى معاملتك مع الناس يمكن أن تتحول إلى عبادة. كيف ذلك إذا عاملتهم بمقتضى أمر الله من النصح والبيان

امتثالا لأمر الله عز وجل صارت المعاملة عبادة حتى لو تبيع سلعة على إنسان وتبين ما فيها من عيوب وتصدق فيما تصفها من الصفات المطلوبة صرت الآن متعبدا لله لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[(١)].



(١) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ٣٣١.

فائدة: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فِيِّ امرأتك». لماذا مثل الرسول ﷺ ما يجعله الإنسان وقال: «في فيّ امرأتك» ما قال حتى ما تجعله في فيّ أبيك، في فيّ أمك، بل قال «في فيّ امرأتك» لأن المرأة إذا لم ينفق عليها زوجها طالبت بالفراق وإذا طالبت بالفراق وفارقته بقي بلا زوج إذًا فإنفاقه على زوجته كأنما يجر به إلى نفسه نفعا. ومع ذلك قال له الرسول ﷺ: «إنك إذا أنفقت نفقة تبتغي بها وجه الله، حصل لك بها الأجر» حتى في هذه النفقة التي تكون معاوضة لأن الإنفاق على الزوجة عوض عن الاستمتاع بها

ونيل الشهوة منها. ولهذا إذا نشزت الزوجة، فإن نفقتها تسقط. الحاصل أيها الإخوة أن النية لها تأثير عظيم في العبادة ولهذا نقول: إن العبادة لا تكون عبادة إلا بشرطين أساسين، أحدهما: الإخلاص لله، والثاني: المتابعة لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. [1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ٣٣٢.

فائدة: قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]. قال بعض السلف: (لقد أنصفك من جعلك حسيبا على نفسك). والكتابة في صحائف الأعمال: إما للحسنات، وإما للسيئات، والذي يكتب من الحسنات ما عمله الإنسان، وما نواه، وما هم به؛ فهذه ثلاثة أشياء: فأما ما عمله؛ فظاهر أنه يكتب. وأما ما نواه؛ فإنه يكتب له، لكن يكتب له أجر النية فقط كاملا؛ كما في الحديث الصحيح في قصة (الرجل الذي كان له مال ينفقه في سبيل الخير، فقال الرجل الفقير: لو أن عندي مالا؛

لعملت فيه بعمل فلان؛ قال النبي ﷺ: «فهو بنيته؛ فأجرهما سواء». ويدل على أنهما ليسا سواء في الأجر من حيث العمل: «أن فقراء المهاجرين لما أتوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله! إن أهل الدثور سبقونا. فقال لهم ﷺ: «تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين». فلما سمع الأغنياء بذلك؛ فعلوا مثله، فرجع الفقراء يشكون إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال لهم: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، ولم يقل: إنكم بنيتكم أدركتم عملهم. ولأن هذا هو العدل؛ فرجل لم يعمل لا يكون كالذي عمل، لكن يكون مثله في أجر النية فقط. وأما الهم؛ فينقسم إلى قسمين: الأول: أن يهم بالشيء ويفعل ما يقدر

عليه، منه، ثم يحال بينه وبين إكماله. فهذا يكتب له الأجر كاملا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]. وهذه بُشرى لطلبة العلم: إذا نوى الإنسان أنه يطلب العلم وهو يريد أن ينفع الناس بعلمه ويذب عن سنة الرسول ﷺ وينشر دين الله في الأرض، ثم لم يقدر له ذلك؛ بأن مات مثلا، وهو في طلبه؛ فإنه يكتب له أجر ما نواه وسعى إليه. بل إن الإنسان إذا كان من عادته العمل، وحيل بينه وبينه لسبب؛ فإنه يكتب له أجره، قال النبي ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر؛ كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». القسم الثاني: أن يهم بالشيء ويتركه مع القدرة عليه؛ فيكتب

له به حسنة كاملة؛ لنيته. وأما السيئات؛ فإنه يكتب على الإنسان ما عمله، ويكتب عليه ما أراده وسعى فيه ولكن عجز عنه، ويكتب عليه ما نواه وتمناه. فالأول: واضح. والثاني: يكتب عليه كاملا؛ لقول ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: (يا رسول الله! هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟!) قال: «لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه»، ومثله من هم أن يشرب الخمر، ولكن حصل له مانع؛ فهذا يكتب عليه الوزر كاملاً؛ لأنه سعى فيه. والثالث: الذي نواه وتمناه يكتب عليه، لكن بالنية، ومنه الحديث الذي أخبر النبي ﷺ عن رجل أعطاه الله مالا؛ فكان يتخبط فيه، فقال رجل فقير: (لو أن لي مالاً؛

لعملت فيه بعمل فلان). قال النبي ﷺ: «فهو بنيته؛ فوزرهما سواء». ولو هم بالسيئة، ولكن تركها؛ فهذا على ثلاثة أقسام:

١- إن تركها عجزًا؛ فهو كالعامل إذا سعى فيها. ٢- وإن تركها لله؛ كان مأجوراً. ٣- وإن تركها لأن نفسه عزفت عنها، أو لم تطرأ على باله؛ فهذا لا إثم عليه ولا أجر. والله عز وجل يجزي بالحسنات أكثر من العمل، ولا يجزي بالسيئات إلا مثل العمل؛ قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهذا من كرمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ومن كون رحمته سبقت غضبه.[١]

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨/ ٥٠٦

فائدة: وفي قول النبي ﷺ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» هذه هي نيّة المعمول له، والناس يتفاوتون فيها تفاوتًا عظيمًا، حيث تجد رجلين يصلّيان بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب أو مما بين السماء والأرض في الثواب، لأن أحدهما مخلص والثاني غير مخلص. وتجد شخصين يطلبان العلم في التّوحيد، أو الفقه، أو التّفسير، أو الحديث، أحدهما بعيد من الجنّة والثاني قريب منها، وهما يقرآن في كتاب واحد وعلى مدرّسٍ واحد. فهذا رجل طلب دراسة الفقه من أجل أن يكون قاضيًا والقاضي له راتبٌ رفيعٌ ومرتبةٌ رفيعة، والثاني درس الفقه من أجل أن

يكـون عالمـًا معلّمـًا لأمـة ﷺ، فبينهما فـرق عظيـم. قـال النبـي ﷺ: «مَـنْ طَلَـبَ عِلْمَـًا وَهُـوَ مِمَّـا يُبْتَغَـى بِـهِ وَجْهُ اللهِ لا يُرِيْـدُ إِلاَّ أَنْ يَنَـالَ عَرَضَـًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ» .[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ص ١٠.

فائدة: العمل يتفاضل أيضًا بالإخلاص، فلدينا ثلاثة رجال: رجل نوى بالعمل امتثال أمر الله عزّ وجل والتقرب إليه، وآخر نوى بالعمل أنه يؤدي واجبًا، وقد يكون كالعادة، والثالث نوى شيئًا من الرياء أو شيئًا من الدنيا. فالأكمل فيهم: الأول، ولهذا ينبغي لنا ونحن نقوم بالعبادة أن نستحضر أمر الله بها، ثم نستحضر متابعة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها، حتى يتحقق لنا الإخلاص والمتابعة.. (١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ص ٣٧٥.

فائدة: لابد مع الدعاء من رجاء، وأما القلب الغافل اللاهي الذي يذكر الدعاء على وجه العادة فليس حريّاً بالإجابة، بخلاف الذكر كالتسبيح والتهليل وما أشبه ذلك، فهذا يُعطى أجراً به، ولكنه أقل مما لو استحضر وذكر بقلبه ولسانه. والفرق ظاهر، لأن الداعي محتاج فلابد أن يستحضر في قلبه ما احتاج إليه، وأنه مفتقر إلى الله عزّ وجل..[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٨/ ٤٠٠.

فائدة: التوكل نصف الدين، ولهذا نقول في صلاتنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، فنطلب من الله العون اعتمادا عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته. وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز، ولم يتمكن من القيام بالعبادة، فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله، فينال بذلك أجر العبادة وأجر التوكل، ولكن الغالب عندنا ضعف التوكل، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أو العادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا

الفعل، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة وننسى ما وراء ذلك فيفوتنا ثواب عظيم، وهو ثواب التوكل، كما أننا لا نوفق إلى حصول المقصود كما هو الغالب، سواء حصل لنا عوارض توجب انقطاعها أو عوارض توجب نقصها.[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦٧.

فائدة: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٩]. فالبكاء عند قراءة القرآن، وعند السجود، وعند الدعاء من صفات الصالحين، والإنسان يحمد عليه، والأصوات التي تسمع أحيانًا من بعض الناس هي بغير اختيارهم فيما يظهر، لا هو شيء يجده في نفسه ويقع بغير اختياره، وقد قال العلماء: إن الإنسان إذا بكى من خشية الله فإن صلاته لا تبطل ولو بان من ذلك حرفان فأكثر، لأن هذا أمر لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيه، ولا يمكن أن نقول للناس لا تخشعوا في الصلاة ولا تبكوا، بل نقول إن البكاء الذي يأتي بتأثر القلب مما سمع أو مما استحضره إذا سجد؛ لأن الإنسان إذا سجد

يستحضر أنه أقرب ما يكون إلى ربه عز وجل، كما قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». والقلب إذا استحضر هذا وهو ساجد لا شك أنه يخشع ويحصل البكاء.[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣٢.

فائدة: من خصائص يوم الجمعة: أن فيه هذه الساعة التي أشرنا إليها: ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه. واختلف العلماء في تعيين هذه الساعة على أكثر من أربعين قولاً، لكن أقرب الأقوال فيها قولان:

الأول: أنها ما بين أن يخرج الإمام إلى الناس للصلاة حتى انقضاء الصلاة. فإن هذا أرجى الأوقات موافقة لساعة الإجابة، لما رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهي ساعة يجتمع المسلمون فيها على فريضة من فرائض الله ويدعون الله فيها، فهي أقرب ما تكون موافقة لساعة الإجابة، ولهذا ينبغي أن

يحرص الإنسان في هذه الساعة على الدعاء، ولاسيما في الصلاة، ومحل الدعاء في الصلاة إما في السجود، وإما في الجلسة بين السجدتين، وإما بعد التشهد. فينبغي للإنسان أن يحرص على الدعاء في صلاة الجمعة، وأن يستشعر أن هذا من أرجى أوقات يوم الجمعة إجابة.

القول الثاني: أنها بعد العصر.[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٣.

فائدة: في ختام شهر رمضان شرع الله لعباده أن يكبروه، فقال تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥] تكبروا الله، أي: تعظموه بقلوبكم وألسنتكم، ويكون ذلك بلفظ التكبير. فتقول: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد). أو تكبر ثلاثًا، فتقول: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد). كل هذا جائز سواء أتيت بالتكبير شفعًا، أو أتيت وتراً.

وينبغي للإنسان عند التكبير أن يستشعر أنه يكبر الله بقلبه ولسانه، وأنه بنعمة الله عليه وهدايته إياه صار في المحل الأعلى الأرفع

ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فجعل الله التكبير فوق الهداية، أي أن ذلك التكبير كان نتيجة لهداية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتوفيقه لصيام رمضان وقيامه، وهذا التكبير سنة عند جمهور أهل العلم.(١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٦٩.

فائدة: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

إخواني: هذه فضائل قراءة القرآن، وهذا أجره لمن احتسب الأجر من الله والرضوان، أجور كبيرة لأعمال يسيرة، فالمغبون من فرَّط فيه، والخاسر من فاته الربح حين لا يمكن تلافيه، وهذه الفضائل شاملة لجميع القرآن، وقد وردت السنة بفضائل سور معينة مخصّصة.[1]

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢١٩.

فائدة: إذا كنت صادقًا في محبة الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -وأرجو أن تكون صادقًا- فعليك بإتباعه وأتباع سنته وهديه، كن وأنت تتوضأ كأنما تشعر بأن الرسول ﷺ يتوضأ أمامك، وكذلك في الصلاة وغيرها حتى تحقق المتابعة ولست أقول (أمامك) أنه عندك في البيت هذا لا أقوله، لكن المعنى من شدة إتباعك له كأنه أمامك يتوضأ، ولهذا أوجه الآن إلى نقطة مهمة، نحن نتوضأ للصلاة -والحمد لله- عندما نتوضأ أكثر الأحيان وأكثر الناس لا يشعرون، إلا أنهم يؤدون شرطًا من شروط الصلاة لكن ينبغي أن يلاحظ. **أولاً:** أن نشعر بأننا نمتثل أمر الله عَزَّوَجَلَّ حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ﵟٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚﵞ [المائدة: ٦]. **ثانيًا:** أن نشعر بأتباع النبي ﷺ لأننا توضأنا نحو وضوئه. **ثالثًا:** أن نحتسب الأجر؛ لأن هذا الوضوء يكفر الله سبحانه وتعالى به كل خطيئة حصلت من هذه الأعضاء، الوجه إذا غسله آخر قطره يكفر بها عن الإنسان، وكذلك بقية الأعضاء، هذه ثلاثة أمور غالبًا لا نشعر بها إنما نعمل كأننا أدينا شرطًا من شروط الصلاة، فأسأل الله أن يعينني وأخواني المسلمين على ذلك حتى تكون العبادة طاعة لله تعالى وإتباعا لرسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واحتسابًا لثواب الله.[1]

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٤.

فائدة: المؤمن لا يصاب بأي شيء إلا كفّر الله به عنه، لا يلحقه هم ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها عنه من الخطايا، وهذه نعمة، كل منا يرجو أن يخفف الله من سيئاته، ونسأل الله أن يمحو عنا وعنكم السيئات. وهذه المصائب التي ليس لنا بها حيلة، يُكفِّر الله بها السيئات، وهي إذا احتسب الإنسان بها الأجر عند الله صارت رفعة في الدرجات، فالإنسان إذا أصيب بمصيبة يكتسب بها شيئين: **الأول:** أنها مكّفرة للذنوب. **الثاني:** أنه إذا احتسب الأجر على الله بها، صارت سببًا لرفعة الدرجات، وزيادة الحسنات.[1]

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٥/ ٥٥٧.

فائدة: العلم يرفع الله به من يشاء من خلقه: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة: ١١]. ولهذا نجد أن أهل العلم محل الثناء، كلما ذكروا أثنى الناس عليهم، وهذا رفع لهم في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما عملوا.

إن العابد حقًا هو الذي يعبد ربه على بصيرة، ويتبين له الحق وهذه سبيل النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] فالإنسان الذي يتطهر وهو يعلم أنه على طريق شرعي هل هو كالذي يتطهر

من أجل أنه رأى أباه أو أمه يتطهر؟ أيهما أبلغ في تحقيق العبادة رجل يتطهر؛ لأنه علم أن الله أمر بالطهارة، وأنها هي طهارة النبي ﷺ يتطهر امتثالاً لأمر الله وإتباعا لسنة رسول الله ﷺ أم رجل آخر يتطهر؛ لأن هذا المعتاد عنده؟ فالجواب: بلا شك أن الأول هو الذي يعبد الله على بصيرة فهل يستوي هذا وذاك؟ وإن كان فعل كل منهما واحدًا، لكن هذا عن علم وبصيرة يرجو الله عَزَّوَجَلَّ ويحذر الآخرة، ويشعر بأنه متبع للرسول ﷺ وأقف عند هذه النقطة **وأسال: هل** نستشعر عند الوضوء بأننا نمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ

﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]؟ هل الإنسان عند وضوئه يستحضر هذه الآية وأنه يتوضأ امتثالاً لأمر الله؟ هل يستشعر أن هذا وضوء رسول الله ﷺ؟ وأنه يتوضأ إتباعًا لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الجواب: نعم الحقيقة أن منا من يستحضر ذلك، ولهذا يجب عند فعل العبادات أن نكون ممتثلين لأمر الله بها حتى يتحقق لنا بذلك الإخلاص، وأن نكون متبعين لرسول الله ﷺ، نحن نعلم أن من شروط الوضوء النية، لكن النية قد يراد بها نية العمل، وهذا الذي يبحث في الفقه، وقد يراد بها نية المعمول له، وحينئذ علينا أن نتنبه لهذا الأمر العظيم، وهو أن نستحضر ونحن نقوم بالعبادة أننا نتمثل أمر الله بها لتحقيق الإخلاص، وأن

نستحضر ونحن نقوم بالعبادة أن الرسول ﷺ فعلها ونحن له فيها متبعون لتحقيق المتابعة؛ لأن من شروط صحة العمل الإخلاص والمتابعة اللذين بهما تتحقق شهادة أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ نعود إلى ما ذكرنا أولاً من فضائل العلم، إذ بالعلم يعبد الإنسان ربه على بصيرة فيتعلق قلبه بالعبادة ويتنور قلبه بها، ويكون فاعلاً لها على أنها عبادة لا على أنها عادة، ولهذا إذا صلَّى الإنسان على هذا النحو فإنه مضمون له ما أخبر الله به من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.[(١)]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦/ ٢٠.

فائدة: أهم شيء يعين على طلب العلم النية الخالصة أن ينوي الإنسان بطلب العلم حفظ شريعة الله عَزَّوَجَلَّ والانتفاع بها بالعمل ونشرها بين الناس ودعوة الناس إليها؛ فإذا تصور الإنسان هذه العبادات العظيمة وما يترتب عليها من الثواب فهذا مما يعين على طلب العلم، كذلك مما يعين على طلب العلم أن ييسر الله للطالب زملاء يساعدونه ويعينونه، وييسر الله للجميع معلمًا يوضح ويبين، فإن التبيين والتوضيح مما ينشط طالب العلم، ومما يعين على طلب العلم الفراغ ألا يكون الإنسان عنده مشاكل اجتماعية، أو مشاكل في أهله، وأن يكون عنده ما يقوته هذا من

الأسـباب وربمـا يكـون أيضًـا هنـاك أسـباب أخرى لكن هذه من الأسباب.[١]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٢٥.

فائدة: يجب على طالب العلم إخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ وأن يعتقد أنه ما قرأ حرفًا ولا كلمة، ولا أتم صفحة في العلم الشرعي إلا وهو يقربه إلى الله عز وجل. ولكن كيف يمكن أن ينوي التقرب إلى الله بطلب العلم؟ الجواب: يمكن ذلك؛ لأن الله أمر به، والله إذا أمر بشيء ففعله الإنسان امتثالاً لأوامر الله، فتلك عبادة الله؛ لأن عبادة الله هي امتثال أمره، واجتناب نهيه، وطلب مرضاته، واتقاء عقوبته. ومن إخلاص النية في طلب العلم أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من الأمة، وعلامة ذلك أن الرجل تجده بعد طلب العلم متأثرًا بما طلب، متغيرًا في سلوكه ومنهاجه، وتجده حريصًا

على نفع غيره، وهذا يدل على أن نيته في طلب العلم رفع الجهل عنه وعن غيره فيكون قدوة، صالحًا مصلحًا، وهذا ما كان عليه السلف الصالح، أما ما عليه الخلف اليوم فيختلف كثيرًا عن ذلك، فتجد الأعداد الكبيرة من الطلاب في الجامعات والمعاهد، منهم من نيته لا تنفعه في الدنيا والآخرة، بل تضره، فهو ينوي أن يصل إلى الشهادة لكي يتوصل بها إلى الدنيا فقط، وقد جاء التحذير من الرسول ﷺ فقال: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». أي ريحها وهذا خطر عظيم، علم شرعي تجعله وسيلة إلى عرض الدنيا، هذا قلب للحقائق.

والطالب إذا أخلص النية جاءته الدنيا تبعًا ولن يفوته شيء وسيخرج هو ومن يريد الشهادة للدنيا على حد سواء، بل المخلص أكثر تحصيلاً للعلم وأبلغ رسوخًا فيه. وإن مما يؤسف له - كما ذكر السائل- أن بعض الطلاب يستأجرون من يعد لهم بحوثًا أو رسائل يحصلون بها على شهادات علمية، أو من يحقق بعض الكتب فيقول لشخص حضر لي تراجم هؤلاء، وراجع البحث الفلاني، ثم يقدمه رسالة ينال بها درجة يستوجب بها أن يكون في عداد المعلمين أو ما أشبه ذلك، فهذا في الحقيقة مخالف لمقصود الجامعة ومخالف للواقع، وأرى أنه نوع من الخيانة؛ لأنه لابد أن يكون المقصود من الرسالة هو الدراسة

والعلم قبل كل شيء، فإذا كان المقصود من ذلك الشهادة فقط فإنه لو سئل بعد أيام عن الموضوع الذي حصل على الشهادة فيه لم يجب.

لهذا أحذر إخواني الذين يحققون الكتب، أو الذين يحضرون رسائل على هذا النحو من العاقبة الوخيمة، وأقول: إنه لا بأس من الاستعانة بالغير ولكن ليس على وجه أن تكون الرسالة كلها من صنع غيره، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، إنه سميع مجيب.[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦ / ٢٥٨.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي نُنَزِّه؛ والذي يُنَزَّه الله عنه شيئان؛ **أولاً:** النقص؛ **والثاني:** النقص في كماله؛ وزد **ثالثًا** إن شئت: مماثلة المخلوقين؛ كل هذا يُنَزَّه الله عنه؛ النقص: مطلقًا؛ يعني أن كل صفة نقص لا يمكن أن يوصف الله بها أبداً. لا وصفًا دائمًا، ولا خبراً؛ والنقص في كماله: فلا يمكن أن يكون في كماله نقص؛ قدرته: لا يمكن أن يعتريها عجز؛ قوته: لا يمكن أن يعتريها ضعف؛ علمه: لا يمكن أن يعتريه نسيان ... وهلم جراً؛ ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أي تعب، وإعياء؛ فهو عزّ

وجلّ كامل الصفات لا يمكن أن يعتري كماله نقص؛ ومماثلة المخلوقين: هذه إن شئنا أفردناها بالذكر؛ لأن الله تعالى أفردها بالذكر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] وإن شئنا جعلناها داخلة في القسم الأول. النقص. لأن تمثيل الخالق بالمخلوق يعني النقص؛ بل المفاضلة بين الكامل والناقص تجعل الكامل ناقصًا، كما قال القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره

إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

لو قلت: فلان عنده سيف أمضى من العصا تبين أن السيف هذا رديء، وليس بشيء؛

فربما نفرد هذا القسم الثالث، وربما ندخله في القسم الأول؛ على كل حال التسبيح ينبغي لنا. عندما نقول: (سبحان الله)، أو: (أسبح الله)، أو ما أشبه ذلك. أن نستحضر هذه المعاني.. [1]



(١) انظر تفسير سورة البقرة ١/ ١١٣.

فائدة: أنه ينبغي للإنسان إذا تعبد لله أن يستشعر أمر الله؛ لأنه أبلغ في الامتثال، والطاعة؛ وكذلك ينبغي أن يستحضر أنه متأسٍ برسول الله ﷺ كأنما يشاهده رأي عين؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام «صلوا كما رأيتموني أصلي» فتتم له المتابعة.(١)



(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ١٨١.

فائدة:

من فوائد قوله تعالي: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾... ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] أن الإنفاق قليله وكثيره يثاب عليه المرء؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ وكلمة ﴿مِّن نَّفَقَةٍ﴾ نكرة في سياق الشرط؛ فهي تعم؛ وعلى ذلك تشمل القليل، والكثير؛ لكن الثواب عليها مشروط بأمرين: الإخلاص لله؛ وأن تكون على وفق الشرع. ومن فوائد الآية: أنه ينبغي للإنسان إذا أنفق نفقة أن يحتسب الأجر على الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾؛ لأنك إذا أنفقت وأنت تشعر أن الله يعلم هذا الإنفاق فسوف تحتسب الأجر على الله.(١)

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ٣٥٥.

فائدة: قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٠] يعني أي شيء يمنعهم، والإنفاق في سبيل الله يشمل كل شيء أمر الله بالإنفاق فيه، ففي سبيل الله هنا عامة، وعليه يدخل في ذلك الإنفاق على النفس، والإنفاق على الزوجة، والإنفاق على الأهل، والإنفاق على الفقراء واليتامى، والإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فكل ما أمر الله تعالى بالإنفاق فيه فهو داخل في هذه الآية حتى إنفاقك على نفسك صدقة، وإنفاقك على زوجك صدقة، ولكن لاحظ النية، لقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها»، فلزم

هـذا القيـد، لابـد أن تبتغـي بهـا وجـه الله إلاَّ أجـرت، أي: أثبت عليها. [1]



(١) انظر تفسير سورة الحديد ص ٣٨٠.

فائدة: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح:٤]

رفع ذكر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا أحد يشك فيه؛ **أولاً:** لأنه يرفع ذكره عند كل صلاة في أعلى مكان وذلك في الأذان: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمد رسول الله. **ثانيًا:** يرفع ذكره في كل صلاة فرضًا في التشهد، فإن التشهد مفروض، وفيه أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. **ثالثًا:** يرفع ذكره عند كل عبادة، كل عبادة مرفوع فيها ذكر الرسول ﷺ، وذلك لأن كل عبادة لابد فيها من **شرطين أساسيين هما:** الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن المعلوم أن المتابع للرسول ﷺ سوف

يستحضر عند العبادة أنه متبع فيها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهذا من رفع ذكره.[(١)]



(١) انظر تفسير سورة الشرح ص ٢٤٨.

فائدة:

المراد بتسبيح الله عز وجل تنزيهه المتضمن لبعده عن كل نقص، والنقص إما أن يكون في أصل الصفة، وإما أن يكون بمقارنتها بغيرها. ففي أصل الصفة نقول: هو حي، عليم، قادر، حكيم، عزيز، فكل صفاته ليس فيها نقص، فهو حي حياة لا نقص فيها، سميع سمعًا لا نقص فيه، عليم علمًا لا نقص فيه، فلا نقول مثلاً إن علمه عز وجل مسبوق بجهل، أو أنه يلحقه نسيان. والنقص باعتبار مقارنتها بغيرها: بأن ننزهه عن مماثلة المخلوقين؛ لان تمثيله بالمخلوقين يعتبر نقصا، فلا نقول مثلا إن وجه الله عز وجل كوجه المخلوق. فصار - بذلك - النقص

دائراً بين شيئين: الأول: نقص الصفة بذاتها فصفاته غير ناقصة. والثاني: نقصها باعتبار مقارنتها بصفة المخلوق، فإنه لا مقارنة بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فهو منزه عن النقص في صفاته، وعن النقص بمشابهته أو بمماثلته بالمخلوقين.

ونحن نقول في كل صلاة: (سبحان ربي الأعلى)، فهل نحن حينما نقول: (سبحان ربي الأعلى) نستحضر هذا المعنى أم نقول: (سبحان ربي الأعلى) باعتبار انه ذكر وثناء على الله؟ والجواب: أن الغالب على الناس عموما وخصوصا إنهم إذا قالوا: (سبحان ربي الأعلى) لا يشعرون ألا بالثناء على الله والتنزيه المطلق، ولا يستحضرون معنى: اللهم إني

أنزهك يا ربي عن مماثلة المخلوقين، وعن كل نقص في صفاتك، فلا يشعر القائل بهذا المعنى ألا قليلاً.[1]



(١) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٤٥.

فائدة: اعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا رضي عن العبد أرضى الناس عنه، وإذا سخط على العبد أسخط الناس عليه، فإذا كنت تريد أن يرضى الناس عنك فاتبع رضا الله، ولكن لا تتبع رضا الله من اجل أن يرضى الناس عنك، فتطلب الأعلى للأدنى، ولكن اجعل رضا الله هو الأصل، وثق بان الله إذا رضي عنك رضي عنك الناس، ولكن إياك أن تنوي بطلب رضا الله رضا الناس فتكون متوسلا بالأعلى إلى الأدنى؛ لأنه ربما إذا نويت هذه النية لا يرضى الله عنك، وحينئذ يفوتك مقصودك مع ضعف مقصودك.[١]

(١) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٨٦.

فائدة: يستطيع الإنسان اكتساب مكارم الأخلاق، وذلك عن طريق الممارسة، والمجاهدة، والتمرين فيكون الإنسان حسن الخلق لأمور منها: أولاً: أن ينظر في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ: ينظر النصوص الدالة على مدح ذلك الخلق العظيم الذي يريد أن يتخلق به. فالمؤمن إذا رأى النصوص تمدح شيئًا من الأخلاق أو الأفعال، فإنه سوف يقوم به. والنبي ﷺ أشار إلى ذلك في قوله: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك: إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحًا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك

وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»، **ثانيًا:** أن يصاحب من عرفوا بحسن الأخلاق، والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الأعمال حتى يجعل من هذه الصحبة مدرسة يستعينُ بها على حسن الخلق فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». **ثالثًا:** أن يتأمل الإنسان ماذا يترتب على سوء خلقه: فسيئ الخلق ممقوت سيئ الخلق مهجور سيئ الخلق مذكور بالذكر القبيح فإذا علم الإنسان أن سوء الخلق يفضي به إلى هذا فإنه يبتعد عنه. رابعًا: أن يستحضر الإنسان دائمًا صورة خُلُق رسول الله ﷺ وكيف أنه كان يتواضع للخلق، ويحلم عليهم، ويعفو عنهم ويصبر على أذاهم، فإذا

استحضر الإنسان أخلاق النبي ﷺ وأنه خير البشر وأفضل من عبد الله تعالى، هانت على الإنسان نفسه وانكسرت صولة الكبر فيها فكان ذلك داعياً إلى حسن الخلق.[1]



(١) انظر مكارم الأخلاق ص٣٥.

فائدة: الموفّق يمكنه أن يجعل ابتغاء الرزق من ذكر الله تعالى، فيجعل بيعه وشراءه وحرثه وصنعته من ذكر الله، وذلك بالنية، قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر» لكن أكثر الناس يغفلون عن هذا الشيء، ولو أن الإنسان انتبه، ولم يكن من الغافلين لحصَل شيئًا كثيراً، فطلب الرزق إذا نويت أنه من السعي على الأرامل والمساكين حصَلت منزلة المجاهد عند الله عز وجل، وعائلتك التي لا تستطيع الاكتساب تدخل في المساكين؛ لأنهم لا يقدرون على الاكتساب، فأنت ساعٍ على أرملة ومساكين.[1]

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٣/ ٧١٧.

فائدة: النيَّةُ شرطٌ في جميع العبادات، والكلامُ على النيَّة من وجهين: الأول: من جهة تعيين العمل ليتميَّز عن غيره، فينوي بالصَّلاة أنَّها صلاة وأنَّها الظُّهر مثلاً، وبالحجِّ أنه حجٌّ، وبالصِّيام أنَّه صيام، وهذا يتكلَّم عنه أهل الفقه. الثَّاني: قصدُ المعمول له، لا قصد تعيين العبادة، وهو الإخلاص وضدُّه الشِّرك، والذي يتكلَّم على هذا أرباب السُّلوك في باب التَّوحيد وما يتعلَّق به، وهذا أهمُّ من الأوَّل، لأنَّه لُبُّ الإسلام وخلاصة الدِّين، وهو الذي يجب على الإنسان أن يهتمَّ به. وينبغي للإنسان أن يتذكَّر عند فعل العبادة شيئين: الأول: أمر الله تعالى بهذه العبادة حتى يؤدِّيها مستحضراً أمر

الله، فيتوضَّأ للصَّلاة امتثالاً لأمر الله؛ لأنَّه تعالى قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ۝٦ ﴾ [المائدة: ٦] لا لمجرد كون الوُضُوء شرطًا لصحَّة الصَّلاة. **الثاني**: التأسِّي برسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لتتحقَّق المتاب.

